****

**القَسَمُ فِي مَعانِي القُرآنِ لِلفَرَّاءِ (ت207هـ)**

**دِراسَةٌ نَحويَّةٌ**

**بقلم الدكتور سعد الدين إبراهيم المصطفى**

**الأستاذ المساعد في النحو والصرف بجامعة طيبة - المدينة المنورة-**

**فرع العلا**

مُلخَّصُ البَحثِ

يَتحدَّثُ هذا البَحثُ عن القَسَمِ في( معاني القرآن) لِلفرَّاء (ت207هـ)، ويَحسُنُ الحديث عنه عِندَ النَّحوِيينَ أَوَّلاً، كَسِيبويهِ (ت180هـ)، وأبي العبَّاس المبرِّد (ت285هـ)، وابن السَّرَّاجِ (ت 316هـ)، والزَّمخشريِّ (ت 539هـ)، وابنِ هشامٍ (ت 761هـ)، فالفرَّاءُ إمامٌ من أئِمةِ الكوفِيينَ، وكان أحياناً يُخالِفُ شَيخَه الكِسائِي (ت 189 هـ) في بعضِ الآراءِ النَّحوِيَّة، وفي وُجُوهِ القِراءاتِ الَّتي ساقَها، ولم يَكُنْ موافقاً مَنْ سَبَقُوهُ في بعض مَسائِلِ النَّحو والتَّصريفِ وهذا ما سعى البحثُ لبيانِهِ وشرحِهِ، فهو يُقدِّم رأيَهُ في بعضِ المسائِلِ مُعلِّلاً وشارِحاً بصورةٍ علميَّة، وسُرعانَ ما يَأتِي بالأدلَّةِ التفصِيليَّةِ على مسائِلِهِ.

ومن المُهمِّ فِي هذا البحثِ إثباتُ آراء الفرَّاء بِتَفصيلٍ ودقَّةٍ في المواضِعِ الَّتي جاءَ فيها القَسَم، وبيانُ أشكالِ القَسَمِ في القُرآنِ وحروفِهِ وأنواعِهِ والطُّرقِ الَّتي جاءَ بها، ومِن ثَمَّ النَّظرُ فِي أَدلَّتِهِ التي جاءَ بِها مِن كَلامِ العَربِ، فهو يَذكُرُ آراءَ النُّحاة وهِيَ مُتعدِّدةُ الشَّرحِ والتوجيهِ، توزَّعَتْ علَى القُرآنِ والشِّعرِ والشواهِدِ النثريَّةِ، وهِيَ في مُجمَلِها تَدلُّ علَى سَعةٍ في الفَهمِ ومُرونةٍ فِي الرَّأي وتَفرُّدٍ في القَولِ، ما يَجعلُنا نُقِرُّ بأنَّ هذا النَّحويَّ مُتميُّزٌ بَينَ أقرانِهِ فِي زَمانِهِ، لِمَ لا وهُو رَأسُ مَدرسةِ الكُوفة بَعدَ شَيخِهِ الكِسائِيِّ.

**أهداف البحث**

1. تَوصِيفُ الفرَّاء بِتَتبُّعِ الآراءِ النَّحويَّةِ، وبَيانُ الأوجُهِ المتعدَّدةِ مِن تَعدُّدِ الرِّوايات، ثُمَّ بَعدَ ذلِكَ يُقدِّمُ رأيَهُ واضِحاً بِأدلَّةٍ دامِغة.
2. إبرازُ أهميةِ تَحريرِ المسألةِ النَّحويَّةِ، وكَيفَ يُقدِّمُ النُّحاةُ آراءَهُم، وكَيفَ يُناقِشُونَها، مَعَ ذِكرِ القَاعِدةِ النَّحويَّةِ، وما يُخالِفُها أيضاً.
3. إثباتُ الرأيِّ النَّحويِّ الصَّحِيحِ مِن وُجهةِ نَظَرِهِ، فلَمْ يَمنعْهُ مَذهَبُهُ الكوفيُّ من مُخالفةِ أَصحابِهِ أحياناً، كَما لمْ يَمنَعْهُ خِلافُهُ مَعَ أئِمةِ البَصرِيينَ مِن الوُقُوفِ مَعَهُم فِي مَسائِلَ رَأَى حُجَجَهُم فِيها أَبيَنَ وأَوضَحَ.
4. إثباتُ عِلمِهِ الواسِعِ فِي الُّلغةِ والنَّحوِ والشِّعرِ والقِراءاتِ وتَدقِيقُ النَّظرِ فِيهَا، وتَقدِيمُ الرَّأي الصَّحيحِ.

**منهج البحث**

سَلَكْتُ في هذا البحثِ مَنهَجَيْنِ:

1. المنهجَ الوصفِيَّ: عَمَدْتُ فيهِ إلَى جَمعِ المادَّةِ العلميَّةِ وتَفسِيرِها وتَحلِيلِها، وتَفصِيلِ الآراءِ النَّحويَّة فيها.
2. المَنهجَ التَّارِيخيَّ: ذَكَرْتُ فِيهِ آراءَ الفرَّاءِ وآراءَ النُّحاةِ القُدماءِ و بَعضِ المُحدَثِينَ عن أُسلُوبِ القَسَمِ، وحَدَّدْتُ زَمانَهُ في القرنِينِ الأوَّل والثَّانِي الهِجريِّين وما تَلاهُما، كما ذَكرْتُ آراءَ النُّحاةِ بِحَسَبِ وَفَيَاتِهِم، وبِحسَبِ انتِماءاتِهِم النَّحويَّةِ، لِلوصُولِ إلَى فوائِدَ مُستنبَطةٍ منها، وشَرحِ معانِيها وبيانِ مبانِيها أحياناً.

**خُطَّةُ البَحثِ**

قَسَمْتُ البَحثَ إلَى :

1. مقدمة : تحدَّثْتُ فِيها عنِ أُسلُوبِ القَسَمِ عِندَ النَّحويينَ، ودِراسةٍ عن مَواضِعِ وُرُودِهِ فِي كتابِ معانِي القُرآن للفرَّاء (ت 207هـ)، وبيَّنْتُ قِيمةَ البَحثِ، وأَهدافَهُ، ومَنهَجَهُ.
2. المَوضُوعُ: فِيهِ ثَلاثَةُ مَبَاحِثَ، بَسَطْتُ فِي الأوَّلِ القَولَ عنِ مُكوِّناتِ القَسَمِ وفائِدتِهِ وأدواتِهِ، ثُمَّ عَرَضْتُ في المَبحَثِ الثَّانِي مسائِلَ مُهمَّة عن القَسَمِ وجَوابِ القَسَمِ. وفي المبحثِ الثَّالِثِ تَحدَّثْتُ عن مسائِلَ أخرى من القسَمِ التي تَعرَّضَ لها الفرَّاء، وأنواع القسَمِ ومعالجَتِهِ لهذا الأسلوبِ وآراء مَنْ تَقَدَّمَهُ فِيها.
3. الخاتمة وأهم ُّ النتائِجِ

خَتَمْتُ البَحثَ بخاتمة بيَّنْتُ فِيها مُكَوِّناتِ القَسَمِ وأهميتِهِ وجُملَةَ القَسَمِ وجَوابَهُ وطَريقة الدِّراسَةِ الَّتِي تَمَّتْ فِي مَعَانِي القُرآنِ وأهمِيتَها، وَبعدَ ذلِكَ ذَكَرْتُ أَهمَّ النَّتائِجِ.

**المَبحَثُ الأوَّلُ**

**مقدمة:**

**الحمدُ للهِ ربِّ العالمِينَ وأفضلُ الصَّلاةِ وأتمُّ التَّسلِيمِ على المبعُوثِ رحمة للعالَمِينَ سيِّدنا محمَّدٍ وعلَى آلِهِ وصَحبِهِ أجمعينَ، وبعد:**

القَسَمُ مِنَ الأَسالِيبِ النَّحويَّةِ الَّتي وَرَدَتْ في لُغةِ العربِ، كما أنَّهُ ذُكِرَ فِي كُتُبِ النُّحاةِ كَثيراً قَدِيماً وحدِيثاً، وكَانَ لَهُ نَصِيبٌ مِنَ العِنايةِ والاهتِمامِ عِندَهُم، فَهُوَ مِنَ الأَساليبِ الخَبرِيَّةِ الَّتي تُفِيدُ التوَّكِيدَ والتَّبيينَ، ويَأتِي مُفَصِّلاً ومُؤكِّداً أَيضاً.

فَفِيهِ جُملَتا القَسَمِ وجَوابُ القَسَمِ الَّلتانِ تَتَنزَّلانِ مَنزلةَ الجُملَةِ الواحِدةِ فِي السَّبكِ والكَلامِ، فَحُصُولُ الأوَّلِ سَبَبٌ لِحصُولِ الثَّانِي، فَالتَّرابُطُ بَينَهُما مَعنَوِيٌّ لا يَنفَصِلُ، والقَسَمُ خَبريٌّ يحتَمِلُ الصِّدقَ أو الكَذِبَ، والغَرضُ من القَسَمِ هُوَ تَوكِيدُ ما يُقسَمُ علَيهِ من نفيٍ أو إثباتٍ، وإظهارُ قِيمةِ الترَّكيبِ الَّذِي يشتَمِلُ على القسَمِ، وبيانُ أَثَرهِ في بِناءِ الجُملةِ العَربيَّةِ. وهُوَ يَشتَمِلُ علَى الجُملةِ الاسمِيَّةِ والجُملَةِ الفِعلِيَّة علَى حدٍّ سَواء.

وجاءَتْ هذِهِ الدِّراسةُ علَى مَواضعِ القَسَمِ الَّتِي ذُكِرَت فِي مَعانِي القُرآنِ للفرَّاء (ت207هـ) ، وهو رأس مدرسة الكوفةِ في زمانِهِ بعدَ شَيخِهِ الكِسائِيِّ (ت189هـ)، فهذا السِّفْرُ العَظِيمُ يَستَحقُّ منَّا التَّأَمُّلَ والدَّرسَ، وهو يُعنَى بِما يُشكِلُ في القُرآنِ، ويَحتاجُ إلَى التَّأمُّلِ فِي فَهمِهِ، فهوَ يَحوي أُصُولاً فِي الُّلغةِ والنَّحوِ والشِّعرِ والأَدبِ والقِراءاتِ، كيفَ لا ؟ ! ومؤلِّفُهُ بحرٌ في اللغةِ، ونَسيجُ عَصرِهِ فِي النَّحو، وأستاذٌ عَرَفَ أُصُولَ العِلمِ وفُرُوعَهُ، وخَبِيرٌ بِالطِّبِّ، وبأيَّامِ العَربِ وأَشعارِها.

**وَصْفُ كتابِ معانِي القرآنِ:**

يُعَدُّ كِتابُ (معاني القرآن) لِلفرَّاء دِراسَةً مُكمِلةً مِنَ النَّاحِيةِ اللغويَّةِ لِكِتابِ (مجاز القرآن) لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت210هـ)، لأنَّهُ يَبحثُ فِي التراكِيبِ والإعرابِ، وكتاب (المجاز) فِي الغَريبِ والمجازِ، وكِلتا الدِّراسَتَيْنِ مُتَعلِّقتانِ بِالأُسلُوبِ، واختَلَفَتْ دِراسةُ الفَرَّاءِ هنا عن دراسةِ أبي عُبيدة.

ولم يَكُنْ مَعانِي القُرآنِ أوَّلَ اسمٍ أُطلِقَ علَى كتابٍ فِي دِراساتٍ مِن هذا النَّوعِ، كَمَا كَانَ المجازُ مَثلاً. وقد اهتَم َّكِثيرٌ مِن النَّحويينَ والُّلغويينَ فِي القُرُونِ الثَّلاثةِ الأُولَى لِلهِجرةِ بِوضعِ كَثيرٍ مِن الكُتُبِ تَحتَ اسمِ (معاني القرآن)، ومن هؤلاء: الكسائيُّ (ت189هـ)، والنَّضْرِ بنُ شُميل (ت203هـ)، وقطرب (ت206هـ)، والأخفش (ت215هـ). وأينَما ذَكَرَ أَصحَابُ التَّفسِيرِ أَصحابَ المَعانِي فإنَّما يَقصِدُونَ هؤلاءِ.‏

ويَغلُبُ علَى الكِتابِ الطابعُ النَّحويِّ، فكثيراً ما نَراهُ يَقِفُ لِيُوَضِّحَ الجَانِبَ النَّحويَّ، والإعرابَ، ويَنتهِي إلَى النَّظريَّةِ العامَّة، فيُبيِّنُ قَواعِدَها وأُصولهَا، وأدلَّتَها وأسبابَها ومُسبِّباتِها.

ويَهتَمُّ الفَرَّاءُ بِالقِراءاتِ فيَعرضُ لها فِي الآيةِ مُبَيَّناً وُجهةَ نَظَرِ كُلِّ قارِئٍ مُفسِّراً قِراءَتَهُ، وقد تَتَعدَّدُ القِراءاتُ وتتعدَّدُ آراءُ المُفسرِينَ، فيُفاضِلُ بين آرائِهِم مُختاراً ما يَراهُ قريباً مِن الصَّوابِ، وقد يَرَى أنَّ النَّسَقَ فِي الآيةِ يُوجِبُ التَّرجِيحَ لِقِراءةٍ ما، أو التَّصحيحَ لِلَفظٍ مُعيَّنٍ.ويَتَّبِعُ فِي تَفسِيرِ الغَريبِ قاعِدةً واحِدةً، هِيَ الَّتي اتَّبعَها أَبُو عُبيدَةَ مِن قَبلُ، تِلكَ هِيَ شَرحُ الآيةِ بِالآيةِ، ثُمَّ بِالحديثِ إذا تَسَنَّى ذلِكَ، ثُمَّ بِالشَّاهِدِ الشِّعرِيِّ، أوِ المَثَلِ، أوِ الكَلامِ الفَصِيحِ.

**القَسَمُ عِندَ النُّحاةِ**

**القَسَمُ لُغةً واصطِلاحاً:**

**القَسَمُ لُغَةً:** مَصدَرُ قَسَمَ الشَّيءَ يَقسِمُهُ قَسْمَاً فانقَسَمَ. والمَوضِعُ: مَقْسِمٌ، مثال: مَجلِسٌ، وقسَّمهُ: جزَّأهُ، وهيَ القِسْمةُ والقِسْمُ بالكسر: النَّصِيبُ والحظُّ[[1]](#footnote-1). ويَكُونُ بِمعنَى: قَدَّرَ ونَظَرَ، كَقَولِكَ هُوَ يَقسِمُ أَمرَهُ: أَي: يُقَدِّرَهُ، ويُدَبِّرُهُ، ويَنظُرُ كَيفَ يَعمَلُ فِيهِ، قَالَ لَبيدُ العامِريُّ: (من الطويل)

فَقُولَا لَهُ إنْ كانَ يَقسِمُ أمرَهُ أَلَمَّا يَعِظْكَ الدَّهرُ أُمُّكَ هابِلُ[[2]](#footnote-2)

ويَأتِي القَسَمُ بِمعنَى اليَمِينِ والحَلفِ، وهُو القَسَمُ بِفتحِ القَافِ والسِّينِ وجَمعُهُ أَقسَامٌ، مِثل، سَبَبٌ وأَسبابٌ، ومِنهُ: أَقسَمَ بِاللهِ إقساماً، أي: حَلَفَ بِاللهِ حلْفاً. وقاسَمَهُ: أقسَمَ لَهُ، أو شَارَكَهُ فِي القَسَمِ. ومِنهُ قَولُهُ تَعالَى: ( وقَاسَمَهُما إنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ)[[3]](#footnote-3).

يَقُولُ الراغب الأصفهاني (ت502هـ): إنَّ القَسَمَ بِمعنى اليَمينِ، أَصلُهُ مِن القَسامَةِ، وهِيَ أَيمانٌ تُقسَمُ علَى أَولِياءِ القَتِيلِ إذا ادَّعُوا علَى رَجُلٍ أنَّهُ قَتَلَ صاحِبَهُم، ومَعَهُم دَلِيلٌ دُونَ البَيِّنة، فيَحلِفُونَ خَمسِينَ يَميناً تُقسَمُ علَيهِم، ثمَّ صارَ اسمٌ لِكلِّ حَلفٍ، فَكأَنَّهُ أي: القَسَمُ كانَ في الأَصلِ تَقسيمَ أيمانٍ، ثمَّ صارَ يُستَعمَلُ في نَفسِ الحَلْفِ والأيمانِ[[4]](#footnote-4)

والحَلْفُ لَهُ معنيانِ هُما القَسَمُ والعَهدُ. والحَلْفُ والحِلْفُ بِفَتحِ الحاءِ وكَسرِها لُغتانِ فِي القَسَمِ. فالحِلفُ بِكسرِ الحاء: العَهدُ الذي يكُونُ بينَ القومِ، وقد حالفَهُ: أي عاهَدَهُ. وتحالَفَ القَومُ: تعاهَدُوا، ويكونُ بمعنى تآخوا. [[5]](#footnote-5)

واصطِلاحاً هُوَ طَريقٌ مِن طُرقِ تَوكِيدِ الكَلامِ وإبرازُ معانيهِ ومقاصِدِهِ علَى النَّحو الَّذِي يُريدُهُ المتكلِّمُ، إذ يُؤتَى بِهِ لِدفعِ إنكارِ المُنكِرِينَ، أو إزالةِ شَكِّ الشَّاكِينَ. وهُوَ مِنَ المؤكِّداتِ التي تُمكِّنُ الشَّيءَ في نَفسِ السَّامِعِ وتُقَوِّيهِ، ولِتَطمَئِنَ إلَى الخَبرِ.

1. **مُكَوِّناتُهُ:**

يتكوَّنُ أسلُوبُ القَسَمِ من جُملَتَيْنِ: الأُولَى جُملةُ القَسَمِ، والثَّانيةِ جَوابُ القَسَمِ، وقد تَكُونُ جملةُ القسَمِ جملةً فِعليَّة أو جملَةً اسميَّة، فالجُملةُ الفِعليَّةُ، نحو " حَلَفْتُ بِاللهِ، وأَقسَمْتُ وآلَيْتُ وعلِمَ اللهُ، ويَعلَمُ اللهُ" والجملة الاسمِيَّةُ، نحو: " ولَعَمرُكَ، ولَعَمرُ أَبِيكَ، ولَعَمرُ اللهِ، ويَمِينُ اللهِ، وأيمُنُ اللهِ، وأمانَةُ اللهِ، وعلَيَّ عَهدُ اللهِ لأفعَلَنَّ أو لا أَفعَلُ "[[6]](#footnote-6).وسوف نأتي على تفصيلهما.

1. **فائِدَتُهُ:**

والقَسَمُ تَوكِيدٌ لِلكلامِ،وبَيانٌ لَهُ، وإلَى ذلِكَ أشارَ سِيبَويه بقوله**: "** اعلَمْ أنَّ القَسَمَ تَوكِيدٌ لِكَلامِكَ. فإذا حَلَفْتَ علَى فِعلٍ غيرِ مَنفِيٍّ لم يَقَعْ لَزِمَتْهُ الَّلامُ، ولَزِمَتْ الَّلامَ النُّونُ الخفِيفَةُ أو الثَّقِيلَةُ فِي آخِرِ الكَلِمةِ، وذلِكَ قولُكَ: لأفعَلَنَّ .. واعلَمْ أنَّ من الأفعَالِ أشياءَ فِيها مَعنى اليَمِينَ، يَجرِي الفِعلُ بَعدَها مَجرَاهُ، بَعدَ قَولِكَ: واللهِ، وذلِكَ قولُكَ: أُقسِمُ لأفعَلَنَّ، وأشهَدُ لأفعَلَنَّ، وأَقسَمْتُ باللهِ علَيكَ لَتَفعَلَنَّ"[[7]](#footnote-7)

إنَّ هاتَيْنِ الجُملتَيْنِ تَتنزَّلانِ مَنزِلةَ الجُملةِ الواحِدةِ، فَهُما كَجُملَتي الشَّرطِ وجَوابِ الشَّرطِ، لا تَستَغنِي إِحداهُما عنِ الأُخرى، فَوُجُودُ القَسَمِ سَببٌ فِي وُجُودِ جَوابِ القَسَمِ، فلا يُمكِنُ أنْ يَأتيَ الجوابُ دُونَ أنْ يُمَهَّدَ لَهُ بالقَسَمِ، فالترابُطُ بَينَهُما تَرابُطٌ في المعنى والصناعة النحويَّة، عِلماً أنَّ جُملةَ جَوابِ القَسَمِ لا مَحَلَّ لَها مِن الإِعرابِ، أي: أنَّها لا تَشغَلُ وَظِيفَةً يُمكِنُ أنْ يَشغَلَها المُفرَدُ، وذلِكَ لأنَّ جوابَ القَسَمِ خبرٌ، أي يَحتَمِلُ الصِّدقَ والكَذِبَ، وقد يَكُونُ نَفياً أو إثبَاتاً، والغَرضُ مِنَ القَسَمِ تَوكِيدُ ما يُقسَمُ علَيهِ مِن نَفيٍ أو إثباتٍ، ولَيسَ مَعنَى كَونِ جَوابِ القَسَمِ لا مَحلَّ لهُ من الإعرابِ أنَّه غيرُ مترابِطٍ مَعَ القَسَمِ"[[8]](#footnote-8).

1. **أَدَواتُهُ:**

أَدواتُ القَسَمِ الَّتي تَنُوبُ عنِ الفِعلِ، هِيَ: الباءُ والواوُ والتَّاءُ، وقد يُكتَفَى بِحرفِ الجرِّ، وما أُقسِمَ بِهِ، ويُحذَفُ الفِعلُ الدَّالُّ علَى القَسَمِ، ويُسمَّى حرفُ الجرِّ هُنا حَرفَ قَسمٍ. فإذا كانَ حرفُ القَسَمِ المُستَخدَمُ هُوَ الباءُ فإنَّ الفِعلَ الَّذِي يَتَعلَّقُ بِهِ الجارُّ والمجرُورُ يَكُونُ مَحذُوفاً جوازاً، فقال سيبويه: " وللقَسَمِ والمُقسَمِ بِهِ أدَواتٌ فِي حُرُوفِ الجرِّ، وأكثرُها الواو، ثمَّ الباءُ، يَدخُلانِ علَى كُلِّ مَحلُوفٍ بِهِ. ثُمَّ التَّاءُ، ولا تَدخُلُ إلَّا فِي واحدٍ، وذلكَ قَولُكَ: واللهِ لَأَفعِلَنَّ، وبِاللهِ لَأَفعَلَنَّ، وقَالَ تَعَالَى: ( وتَاللهِ لَأَكِيدَنَّ أصنَامَكُم)[[9]](#footnote-9). وقَالَ الخليلُ (ت175هـ): إنَّما تَجيءُ بِهذِهِ الحُرُوفَ، لأنَّكَ تُضِيفُ حَلفَكَ إلَى المحلُوفِ بِهِ، كما تُضِيفُ مَرَرْتُ بِهِ بِالباءِ، إلَّا أنَّ الفِعلَ يَجِيءُ مُضمَراً فِي هذا الباب، والحَلفُ توَكِيدٌ "[[10]](#footnote-10).

**المَبحَثُ الثَّاني**

**تحليلُ مسائِلِ القَسَمِ وتوجِيهاتُ الفرَّاء لها:**

**المَسأَلَةُ الأُولَى:**

قَالَ تَعالَى**: ( ولَقَد عَلِمُوا لَمَنِ اشتَراهُ ما لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاق )[[11]](#footnote-11).** فـ" مَنْ " فِي مَوضِعِ رَفعٍ مُبتَدأٌ، وهِيَ جزاءٌ. لأنَّ العَربَ إذا أحدَثَتْ علَى الجزاءِ هذِهِ اللَّامَ صيَّرُوا فِعلَهُ علَى جِهةِ " فَعَل "، ولا يَكادُونَ يَجعَلُونَهُ علَى " يَفعَل " كَراهةَ أنْ يَحدُثَ علَى الجزاءِ حادِثٌ، وهُو مَجزومٌ. وقد وَقَعَ ما قبلَها علَيها، فَصَرَفُوا الفِعلَ إلَى فَعَل، لأنَّ الجزمَ لا يَستَبِينُ في " فَعَل " ، فصيَّرُوا حُدُوثَ الَّلامِ، ثمَّ صَيَّرُوا جَوابَ الجَزاءِ بِما تُلقِي بِهِ اليَمِينُ - يُرِيدُ تَستَقبِلُ بِهِ- إمَّا بـ " لامٍ"، وإمَّا بـ " لا " ، وإمَّا بـ " إنَّ "، وإمَّا بـ "ما "، فتقولُ في "ما ": لَئِنْ أَتَيْتَنِي ما ذلِكَ لَكَ بِضائِعٍ، وفي " إنَّ ": لَئِنْ أَتَيْتَنِي إنَّ ذلِكَ لَمَشكُورٌ لَكَ، وفي" لا "، وفي " اللام " قوله تعالى: ( لَئِنْ أُخرِجُوا لا يَخرجُونَ مَعَهُم، ولَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنصُرُونَهُم، ولَئِنْ نَصَرُوهُم لَيُوَلُّنَّ الأَدبارَ )[[12]](#footnote-12) .

وإنَّما جَعَلُوا جَوابَ الشَرطِ كَجَوابِ القَسَمِ، لأنَّ الَّلامَ الَّتِي دَخَلَتْ فِي قَولِهِ تَعالَى: (ولَقَد عَلِمُوا لَمَنِ اشتَراهُ ما لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاق) إنَّما هِيَ لامُ القَسَمِ، كانَ مَوضِعُها فِي آخِرِ الكَلامِ، فلمَّا صَارَتْ فِي أَوَّلِهِ صَارَتْ كَالقَسَمِ فَأَخَذَتْ الحُكمَ الَّذِي يَأخُذُهُ القَسَمُ.

**تعليق ومقارنة:**

جَاءَ القَسَمُ في هذِهِ الآيةِ الكريمةِ (ولَقَد عَلِمُوا لَمَنِ اشتَراهُ ما لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاق) واضِحاً، فالَّلامُ للقَسمِ، و" مَنْ " اسمٌ مَوصُولٌ مبتدأٌ، وجملة " اشتَراهُ " صِلةُ المَوصُولِ لا محلَّ لها مِن الإعرابِ. وهِيَ فِعليَّةٌ. وجُملَةُ: ( ما لَهُ فِي الآخِرةِ مِن خَلاقٍ ) مُؤلَّفةٌ مِنْ مُبتَدأٍ وخَبرٍ. وهي واقِعةٌ فِي مَحلِّ رفعِ خَبرٍ للمبتدأ " مَنْ ". وجملة: ( لَمَنِ اشتَراهُ ما لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاق ): في محلِّ نَصبٍ سَدَّتْ مَسَدَّ مَفعُولَي " عَلِمُوا " ، **وفي هذه الآية نحن نَتَّفِقُ معَ الفرَّاء أنَّ الَّلامَ لامُ القَسَمِ، ولكِنَّنا نُخالِفُهُ في " إعرابِ مَنْ " فَلَيسَتْ هنا للجزاءِ، بل هِيَ مَوصُولِيَّة، ، أي: لَيسَ هذا مَوضِعُ شَرطٍ، وهِيَ " مُبتَدأٌ " لأنَّهُ لا يَعمَلُ ما قَبلَ الَّلامَ فِيما بَعدَها.**

والمَشهُورُ عِندَ النَّحوِيِّينَ أنَّ الَّلامَ الدَّاخِلةَ علَى " قد " فِي مِثلِ هذِهِ الآيةِ إنَّما هِيَ لامُ القَسَمِ ، وأمَّا الَّلامُ الدَّاخِلةُ علَى أداةِ الشَّرطِ فَهيَ للإيذانِ بِأنَّ الجوابَ بَعدَها مُرَتَّبٌ علَى قَسَمٍ قَبلَها لا علَى الشَّرطِ، لِذلِكَ تُسمَّى هذِهِ الَّلامُ الَّلامَ الموطِّئةَ لِلقَسَمِ، لأنَّها وَطَّأَتْ لَهُ، أي: مَهَّدتْ لَهُ، وعِندَما أَغنَى جَوابُ القَسمِ عن جَوابِ الشَّرطِ لَزِمَ أنْ يَكُونَ فِعلُ الشَّرطِ ماضِياً-ولو معنًى- كَالمُضارِعِ المنفِيِّ بـ "لم " غالِباً بِناءً علَى تَعلِيلِ الفرَّاء.

إنَّ الَّلامَ الَّتِي دَخَلَتْ فِي " لَقَد " دَخَلَتْ علَى جِهةِ القَسَمِ والتوَّكِيدِ، وللنَّحويينَ في قولِهِ تعالَى: (لَمَنِ اشتَراهُ ما لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ) قَولانِ: جَعَلَ بَعضُهُم " مَنْ " بِمعنَى الشَّرطِ، وجَعَلَ الجَوابَ (ما لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ)، وهذا فيما أرى ليسَ بِموضِعِ شَرطٍ ولا جَزاءٍ، ولكِنَّ المعنَى: ولَقَد عَلِمُوا الَّذِي اشتَراهُ ما لَهُ فِي الآخِرةِ مِنْ خَلاقٍ، كما تَقُولُ: واللهِ لَقَد عَلِمْتَ لَلَّذِي جاءَكَ ما لَهُ مِنْ عَقلٍ.

فأمَّا دُخُولُ الَّلامُ فِي الجَزاءِ فِي غيرِ هذا الموضِعِ، وفِيمَنْ جَعَلَ هذا مَوضِعَ شَرطٍ وجَزاءٍ، مثلُ قَولِهِ: ( ولَئِنْ جِئْتَهُم بِآيةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا)[[13]](#footnote-13) ونحو قولِهِ تعالَى: (**ولَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ بِكلِّ آيةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَكَ)** فالَّلامُ الثانِيةُ هِيَ لامُ القَسَمِ فِي الحقيقةِ، لأنَّكَ إنَّما تحلِفُ علَى فِعلِكَ لا علَى فِعلِ غَيرِكَ فِي قَولِكَ: واللهِ لَئِنْ جِئْتَنِي لأُكرِمَنَّكَ، فَزَعَمَ بَعضُ النَّحويينَ أنَّ الَّلامَ لَمَّا دَخَلَتْ فِي أَوَّلِ الكَلامِ أَشبَهتْ القَسَمَ فَأُجِيبَتْ بِجَوابِهِ، وهذا خَطأٌ، لأنَّ جوابَ القَسَمِ لَيسَ يُشبِهُ القَسَمَ، أي: أنَّ جوابَ القَسَمِ يَأتِي للقَسَمِ نَفسِهِ لا لِما يُشبِهُهُ، ولكِنَّ الَّلامَ الأُولَى دَخَلَتْ إعلاماً أنَّ الجملةَ بِكَمالِها مَعقُودةٌ لِلقَسَمِ، لأنَّ الجزاءَ-وإنْ كانَ لِلقَسَمِ علَيهِ-فَقَد صَارَ لِلشَّرطِ فِيهِ حَظٌّ فلِذلِكَ دَخَلَتِ الَّلامُ.

**المَسأَلَةُ الثَّانِيةُ:**

وقَولُهُ تَعَالَى**: (ولَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ بِكلِّ آيةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَكَ)[[14]](#footnote-14).** أُجيبَتْ " لَئِنْ" بِما يُجابُ بِهِ " لو "، و " لو " في المَعنَى مَاضِيةٌ، و " لَئِنْ " مُستَقبَلةٌ، ولكنَّ الفِعلَ ظهَرَ فِيهِما بـ " فَعَل " فأُجِيبَتا بِجوابٍ واحِدٍ، وشُبِّهَتْ كُلُّ واحِدةٍ بِصاحِبتِها. والجَوابُ فِي الكَلامِ فِي " لِئَنْ " بِالمستَقبَلِ، مِثلُ قَولِكَ: لَئِنْ قُمْتَ لَأَقُومَنَّ، ولَئِنْ أَحسَنْتَ لَتُكرَمَنَّ، ولئنْ أَسَأْتَ لا يُحسَنْ إلَيكَ. وتُجِيبُ " لو " بالماضِي، فتقُولُ: لَو قُمْتَ لَقُمْتُ، ولا تَقُولُ: لَو قُمْتَ لأَقُومَنَّ. فهذا الَّذِي علَيهِ يُعمَلُ، فإذا أُجِيبَتْ " لو " بجوابِ " لَئِنْ " فالَّذِي قُلْتُ لكَ مِنْ لَفظِ فِعلَيهِما بِالمُضِي، أَلَا تَرَى أنَّكَ تَقُولُ: لَو قُمْتَ، ولَئِنْ قُمْتَ، ولا تَكَادُ تَرَى " تَفَعَل " تَأتِي بَعدَهُما، وهِيَ جَائِزةٌ، فلِذلِكَ قَالَ: (ولَئِنْ أَرسَلْنا علَيهِمْ رِيحاً فَرَأَوهُ مُصْفَرَّاً لَظَلُّوا).[[15]](#footnote-15) فأَجابَ "لَئِنْ " بِجوابِ " لو "، وأَجابَ " لَو " بِجوابِ " لَئِنْ "، فقال: ( ولَو أَنَّهُم آمَنُوا واتَّقَوا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِندِ اللهِ خَيرٌ)[[16]](#footnote-16).

**تعليق ومقارنة:**

وَفي هذه الآية الكريمة نَجِدُ أنَّ أُسلوبَ القَسمِ يُشبِهُ أسلوبَ الشَّرطِ غَيرَ الجازم الَّذِي يأتِي بِأداةِ الشَّرطِ غَيرِ الجازِمةِ " لَو " وجَوابُها يَكُونُ بِالماضِي، وبالمُقابِل يَأتِي أُسلُوبُ القَسَمِ مَعَ " لو " بالماضِي، ويَأتِي جَوابُها بِالمستقبَلِ، ووَقَعَ القَسَمُ كَمَا مُثِّلَ لَنَا بِالآيةِ الكَريمةِ. ونَفهَمُ ممَّا أورَدَهُ الفرَّاءُ أنَّ كُلَّاً مِن الَّلامِ المُوَطِّئةِ لِلقَسَمِ، وهِيَ أداةُ القَسَمِ، و " لَو " الشَّرطيَّة أداةُ الشَّرطِ تَأخُذُ جَوابَ الأُخرَى.

وقَد يَكُونُ هذا الرَّأيُ الَّذِي جاءَ بِهِ الفرَّاءُ غَيرَ ما جَاءَ عِندَ غَيرِهِ مِن النُّحاةِ كَـ سيبويهِ، أي خالَفَهُم فِيهِ، وأَيضاً نَحنُ نُخالِفُهُ فِي هذِهِ المَسألةِ، والسَّبَبُ فِي ذلِكَ أنَّ معنَى " إنْ " يَختَلِفُ عن مَعنَى "لَو"، فمَعنَى " إنْ " يُجابُ بِهِا الشَّيءُ لِوجُودِ غَيرِهِ، فنَقُولُ مَثلاً: إنْ أَكرَمْتَنِي أَكرَمْتُكَ، ومَعنَى " لَو " أنَّ الشَّيءَ يَمتَنِعُ لِامتِناعِ غَيرِهِ، فلا تَحُلُّ إِحداهُما مَكانَ الأُخرَى، والمَعنَى يُصبِحُ علَى النَّحوِ الآتِي: ولَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ بِكلِّ آيةٍ لا يَتَّبِعُونَ قِبلَتَكَ.

وإنَّ " لَئِنْ " هنا أُجِيبَ بِجَوابِ " لو " لأنَّ الماضِي وَلِيَها كَمَا وَلِيَ " لَو " فَأُجِيبَ بِجوابِ " لو " ودَخَلَتْ كُلُّ واحِدةٍ مِنهَا علَى أُختِها. هذا رأي الفرَّاء. وأمَّا سِيبويهِ وجُمهُورُ النَّحويينَ فإنَّهم يَرَونَ أنَّ معنَى " لَئِنْ " غَيرَ مَعنَى " لَو " ، وإنْ كَانَ هؤلاءِ قَالُوا إنَّ الجَوابَ مُتَّفِقٌ، فإنَّهُم لا يَنفُونَ أنَّ مَعنَى " لئِنْ " ما يُستَقبَلُ، ومَعنَى " لَو " ماضٍ، وحَقِيقةُ مَعنَى " لَو " أنَّها يَمتَنِعُ بِها الشَّيءُ لِامتِناعِ غَيرِهِ، تَقُولُ: لَو أَتَيْتَنِي لأَكرَمْتُكَ، أي: لم تَأتِنِي فلَمْ أُكرِمْكَ، فإنَّما امتَنَعَ إكرامِي لامتِناعِ إتيانِكَ، ومعنى " إنْ " و " لَئِنْ " أنَّهُ يَقَعُ الشَّيءُ فِيهِما لِوقُوعِ غَيرِهِ فِي المُستَقبَلِ، تَقُولُ: إنْ تَأتنِي أُكرِمْكَ، فالإكرامُ يَقَعُ بِوقُوعِ الإتيانِ فَهذِهِ حَقِيقةُ مَعنَاهُما.

**المَسأَلَةُ الثَّالِثةُ**

وقَولُهُ تَعالَى: (وإذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وحِكمةٍ)[[17]](#footnote-17). قَرَأَها يحيى بنُ وثَّاب بِكَسرِ الَّلامِ، يُرِيدُ أَخْذَ الِميثَاقِ لِلَّذِينَ آتَاهُم، ثُمَّ جَعَلَ قَولَهُ: ( لَتُؤْمِنُنَّ ) مِن الأَخْذِ، ، كَمَا تَقُولُ: أَخَذْتُ مِيثاقَكَ لَتَعمَلَنْ، لِأَنَّ أَخذَ الِميثاقِ بِمَنزِلَةِ الاستِحلافِ. ومَنْ نَصَبَ الَّلامَ فِي " لَمَا " جَعَلَ الَّلامَ لاماً زائِدةً، إذ أُوقِعَتْ علَى جَزاءِ " صَيِّرَ "علَى جِهةِ " فَعَّل "، وصَيَّرَ جَوابُ الجَزاءِ بـ "الَّلامِ "، وبـ " إنْ"، وبـ " لا "، وبـ " ما "، فَكَأنَّ الَّلامَ يَمِينٌ، إذْ صَارَتْ تُلْقَى بِجَوابِ اليَمينِ، وهُو وَجهُ الكَلامِ.[[18]](#footnote-18)

**تعليق ومقارنة:**

جاءَ أُسلُوبُ القَسَمِ هنا بِواسِطةِ الفِعلِ " أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبيّينَ "، فهذا التركِيبُ قَسَمٌ، و" ما " في " لَمَا " جاءَتْ شَرطيَّةً، بِناءً علَى رَأْيِ الفرَّاء والَّلامُ مُوطِّئةٌ، أي: مُمَهِّدةٌ لِلقَسَمِ، ولِهذا أُجِيبَ الجَوابُ بِما يُجابُ بِهِ القَسَمُ، مُضَارِعاً مُؤكَّداً بِنُونِ التَّوكيدِ الثَّقِيلةِ " لَتُؤمِنُنَّ بِهِ ". فهنا ذَكَرَ رأيَ الكِسائِيِّ دونَ تَصريحٍ بِهِ، فهو يرَى أنَّ " ما " شرطِيّة، فَعَلَى رَأيهِ مَوضِعُها نَصبٌ بِالفِعلِ " آتَيتُكُم ". ولأبِي عُبيدَةَ في هذا رأيٌ حسَنٌ، قالَ: المعنى وإذْ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ لَتُؤمِنُنَّ بِهِ لِمَا آتَيْتُكُم مِنْ ذِكرِهِ فِي التَّوراةِ.. وقِيلَ فِي الكلامِ حذفٌ. والمعنى: وإذ أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ النَّبِيينَ لَتُعَلِّمُنَّ النَّاسَ لِما جاءَكُم مِنْ كِتابٍ وحِكمَةٍ، ولِتَأخُذُنَّ علَى النَّاسِ أنْ يُؤمِنُوا، ودلَّ علَى هذا الحَذفُ (وأَخَذْتُم علَى ذلِكُم إصرِي)[[19]](#footnote-19).

وفِي هذهِ المسألةِ أيضاً نَجِدُ أنَّ: " ما " ، هُنا بِمَعنَى " الَّذِي " والتَّقدِيرُ: لَلَذِي آتَيْتُكُمُوهُ، ثمَّ حَذَفَ الهاءَ لِطُولِ الاسمِ فـ " الَّذِي " رَفعٌ بِالابتِداءِ، وخَبرُهُ " مِن كِتابٍ وحِكمةٍ " و "مِنْ " لِبيانِ الجِنسِ، والَّلامُ مُوطِّئةٌ لمجيءِ: " ما "، بَعدَها جَواباً لِلقَسمِ،. وقَولُهُ: " ثمَّ جاءَكُم "، مَعطُوفٌ علَى الفِعلِ بَعدَ: " ما "، فَهُوَ فِي حيِّز ِالشَّرطِ، ويَلزَمُ أنْ يَكُونَ فِي قَولِهِ: " ثمَّ جاءَكُم "، رابِطٌ يَربِطُها بِمَا عُطِفَتْ علَيهِ، لِأنَّ: " جاءَكُم "، مَعطُوفٌ علَى الفِعلِ بَعدَ: " ما"، و : " لَتُؤمِنُنَّ بِهِ "، جَوابٌ لِقَولِهِ: ( أَخَذَ اللهُ مِيثاقَ النَّبيِّينَ) وجَوابُ الشَّرطِ مَحذُوفٌ لِدَلالةِ جَوابِ القَسَمِ علَيهِ، والضَّمِيرُ فِي: " بِهِ "، عائِدٌ علَى: "رَسُول"، ونَحنُ فِي هذِهِ المَسأَلةِ نَمِيلُ إلَى كَونِ " ما " مَوصُوليَّةً مُخالِفِينَ بذلِكَ رَأيَ الفرَّاء وشيخِهِ الكِسائِيِّ.

**وإِمامُ ا**لنُّحاةِ سيبويه، حِينَ سَألَ شَيخَهُ الخليل-رَحِمَهُما اللهُ- عَن قَولِهِ تَعالَى: (وإذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وحِكمةٍ ثُمَّ جَاءَكُم رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُم لَتُؤمِنُنَّ بِهِ ولَتَنصُرُنَّهُ)، أَجابَهُ: " ما " ها هُنا بِمَنزِلةِ " الَّذِي "، ودَخَلَتْها " الَّلامُ كَمَا دَخَلَتْ علَى " إنْ " حِينَ قُلْتَ: " واللهِ لَئِنْ فَعَلْتَ لأَفعَلَنَّ "، فالَّلامُ الَّتِي فِي " ما " كَهذِهِ الَّتِي فِي " إنْ "، والَّلامُ الَّتِي في الفِعلِ كَهذِهِ الَّتي فِي الفِعلِ هُنا[[20]](#footnote-20).

إنَّ سيبويه يَرَى أنَّ مِثلَ هذِهِ الَّلامِ الأولى " أنْ"، إذا قُلْتَ: واللهِ أنْ لَو فَعَلْتَ لَفَعَلْتَ. وقالَ: (من الطويل )

فَأُقسِمُ أنْ لَوِ التَقَيْنا وأنتُمُ لَكانَ لَكُم يَومٌ مِنَ الشَّرِّ مُظلِمُ[[21]](#footnote-21)

فـ "أنْ " فِي " لو " بِمنزِلةِ " الَّلامِ " فِي " ما "، فجاءَتْ لامانِ، لامٌ لِلأَوَّلِ، ولامٌ لِلجَوابِ، هِيَ الَّتِي يَعتَمِدُ علَيها القَسَمُ.

**المسألَةُ الرَّابعة:**

وقَولُهُ: ( وإنَّ مِنكُمْ لَمَنْ لَيُبَطَئَنَّ).[[22]](#footnote-22) دخَلَتْ الَّلامُ الَّتِي في " مَنْ " لمكانِ " إنَّ "، كَمَا تَقُولُ: إنَّ فِيهَا لَأَخَاكَ. ودَخَلَتِ الَّلامُ فِي (لَيُبَطَئَنَّ )، وهِيَ صِلةٌ لـ " مَنْ " علَى إِضمارٍ شَبِيهٍ بِاليَمِينِ، كَمَا تَقُولُ فِي الكَلامِ: هذا الَّذِي لَيَقُومَنَّ، وأَرَى رَجُلاً لَيَفعَلَنَّ مَا يُرِيدُ.[[23]](#footnote-23)

**تعليقٌ ومقارنة:**

إنَّ أُسلُوبَ القَسَمِ الَّذِي وَرَدَ فِي الآيةِ الكَرِيمةِ يَختلِفُ عن المرَّاتِ الَّتِي فِي المَسائِلِ السَّابقةِ فِي ترَكِيبِهِ وطَرِيقةِ عرضِهِ، فالَّلامُ الَّتِي دَخَلَتْ فِي قَوْله: " لَمَنْ"، وَفُتِحَتْ هِيَ الَّلامُ الَّتِي تَدْخُلُ تَوْكِيدًا لِلْخَبَرِ مَعَ " إِنَّ ", كَقَوْلِ الْقَائِل : إِنَّ فِي الدَّار لَمَنْ يُكْرِمُكَ, أي: هذِهِ الَّلامُ الأولَى للتَّوكِيدِ، وَأَمَّا اللَّام الثَّانِيَة الَّتِي فِي (لَيُبَطِّئَنَّ( فِهِيَ لَامُ القَسَمِ, و" مَنْ " في موضِعِ نَصبٍ وصِلَتُها " لَيُبَطِئَنَّ " لأنَّ فِيهِ مَعنَى القَسَمِ، والخَبرُ "مِنكُم ". كَأَنَّ مَعْنَى الْكَلَام: وَإِنَّ مِنْكُمْ - أَيّهَا الْقَوْمُ - لَمَنْ وَاَللهِ لَيُبَطِّئَنّ. فَهَذا قَسَمٌ صَرِيحٌ مَحذُوفٌ تَقديرُهُ: واللهِ لَيُبَطِّئَنَّ.

والمعنَى أي: مِمَّنْ أَظهَرَ الإيمانَ لَمَنْ يُبطِئُ عنِ القِتالِ، يُقالُ: قَد أَبطَأَ الرُّجُلُ وبَطُؤَ بِمعنَى أبطَأ تأَخَّرَ، ومعنى بَطُؤَ ثَقُلَ إبطاءً وبُطْئاً[[24]](#footnote-24).

فالَّلامُ الأُولَى الَّتي فِي "لَمَنْ " لامُ " إنْ "، والَّلامُ الَّتِي فِي " لَيُبَطَّئَنَ " هِيَ لامُ القَسَمِ، و " مَنْ " مَوصُولَةٌ بِالجالِبِ للقَسَمِ، كأنَّ هذا لَو كَانَ كَلاماً لَقُلْتَ: إنْ مِنكُم لَمَنْ أَحلِفُ واللهِ لَيُبَطِّئَنَّ، والنَّحويُونَ يُجمِعُونَ علَى أنَّ " مَنْ " و " مَا " و " الَّذِي " لا يُوصَلْنَ بِالأمرِ والنَّهيِ إلَّا بِما يُضمَرُ مَعَهَا مِنْ ذِكرٍ الخَبَرِ أي: صِلةُ المَوصُولِ لا تَكونُ طَلَباً، فإذا وَقَعَتْ كَذلِكَ قُدِّرَ لَهَا جُملَةٌ خَبَرِيَّة ، كَمَا قُدِّرَ هُنا الفِعلُ " أَحلِفُ " وكَذلِكَ صِلةُ المَوصُولِ، وأنَّ لامَ القَسَمِ إذا جَاءَتْ مَعَ هذِهِ الحُرُوفِ فَلَفظُ القَسَمِ وما أَشبَهَ لَفظُهُ مُضمَرٌ مَعَهَا.

**المَسأَلَةُ الخامِسَةُ**:

وقَولُهُ تَعالَى: (وتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَملأَنَّ جَهَنَّمَ).[[25]](#footnote-25) صَارَ قَولُهُ -عزَّ وجلَّ: (وتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ) يمِيناً، كَمَا تَقُولُ: حَلفِي لَأَضرِبَنَّكَ، وبَدَا لِي لَأَضْرِبَنَّكَ. وكُلُّ فِعلِ كَانَ كَتَأوِيلِ بَلَغَنِي، وقِيلَ لِي، وانتَهَى إلَيَّ، فَإنَّ " الَّلامَ وأنْ " تَصلُحانِ فِيهِ. فَتَقُولُ: قَدْ بَدَا لِي لأَضرِبَنَّكَ، وبَدَا لِي أنْ أَضرِبَكَ. فَلَو كانَ: وتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ أَنْ يَملأَ، كَانَ صَواباً، وكَذلِكَ: (ثُمَّ بَدَا لَهُم مِنْ بَعدِ ما رَأَوا الآياتِ لَيَسْجُنُنَّهُ)[[26]](#footnote-26) ، ولو كانَ: أنْ يَسجُنُوهُ، كانَ صَوَابَا[[27]](#footnote-27).

**تعليق ومقارنة:**

امتازَ القَصَصُ القُرآنيُّ هُنا بِأُسلُوبٍ مُتفرِّدٍ في عَرضِهِ لِأُسلُوبِ القَسَمِ، فهذِهِ التراكيبُ التي استُعملَتْ في القَسَمِ إنَّما جاءت لبيانِ معانٍ تَشتَمِلُ علَيها دُونَ غيرِها، فَقَولُ اللهِ، سُبحانَهُ: وتَمَّتْ: الواوُ حَسَبُ ما قَبلَها. وتَمَّتْ: فعلٌ ماضٍ، وكلِمةُ: فاعِلٌ مَرفُوعٌ، وربِّ: مُضافٌ إلَيهِ، والكافُ ضَميرٌ مُتَّصلٌ مبنيٌّ فِي محلِّ جرٍّ مُضافٌ إلَيهِ. هذا في إعرابه أمَّا في دلالتِهِ فأفادَ القَسَمَ، ومثلُهُ في الدِّلالةِ علَى القَسَمِ قولهم: بَلَغني لَأَفعلّنَّ، وانتَهَى الأَمرُ لَأَكتُبَنَّ، وقِيلَ لِي لتَأتِيَنَّ.

(وتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَملأَنَّ جَهَنَّمَ منَ الجِنَّةِ والنَّاسِ أَجمعِينَ)، فَهذِهِ الجملةُ ضُمِّنَتْ مَعنَى القسَمِ كقولِهِ تَعَالَى: ((وإذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وحِكمةٍ)، ثمَّ عقَّبَ بِقَولِهِ: (لَتُؤمِنُنَّ بِهِ). فهذا الأُسلُوبُ القرآنيٌّ لا يَرقَى النَّثرُ ولا الشِّعرُ لِمِثلِهِ مُطلَقاً.ومثلُهُ مِن الأَفعالِ في أداءِ معنَى القسَمِ: " وإذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ"، وقوله: (ولَقَد كانُوا عاهَدُوا اللهَ )، وقوله: ( وقَضَيْنا إلَى بَنِي إسرَائِيلَ)، وقوله: (كَتَبَ اللهُ).

**المسألةُ السَّادسَةُ والسَّابِعة:**

وقَولُهُ تعالَى: ( تَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ).[[28]](#footnote-28) العَرَبُ لا تَقُولُ: تَا الرَّحمَنِ، ولا يَجعلُونَ مَكانَ الوَاوِ تاءً إلَّا فِي لَفظِ " الله " عزَّ وجلَّ. وذلِكَ أنَّها أَكثرُ الأَيمانِ مُجرَى فِي الكَلامِ، فَتوهَّمُوا أنَّ الواوَ مِنها لِكثرَتِها، وأبدلُوها تاءً[[29]](#footnote-29)، كما قالُوا : التُّرثُ، وهِيَ مِن ورِث.

وقوله: ( لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا )، الَّلامُ لامُ القَسَمِ، وقد: حرف تحقيق، وعَلِمْتُم: فعل ماضٍ، والتاء: ضميرٌ متصلٌ في محلّ رفع فاعل. وجملة: (لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا): واقعة في جواب القسم لا محلَّ لها من الإعراب. وجَوابُ القَسَمِ الَّذِي جاءَ فِي الآيةِ: (ما جِئْنا لِنُفسِدَ فِي الأَرضِ) اقتَرَن بـ " ما " النَّافيةِ، ولم يقفُ النُّحاةُ عندَه كَثيراً، فهو قَسَمٌ مؤلَّفٌ من أداة وفعلٍ وجواب.

وفي قوله: (تَاللهِ تَفتَأُ تَذكُرُ يُوسُفَ).[[30]](#footnote-30) مَعناهُ لا تَزالُ تَذكُرُ يُوسُفَ، و " لا " قد تُضمَرُ مَعَ الأَيمانِ، لِأنَّها إذا كانَتْ خَبَراً لا يُضمَرُ فِيهَا " لا " لم تكنْ إلا بـ " لام "، ألا تَرَى أنَّكَ تَقُولُ: واللهِ لآتِيَنَّكَ، ولا يَجُوزُ أنْ تَقُولَ: واللهِ آتِيكَ إلا أنْ تَكُونَ تُرِيدُ " لا " فلمَّا تَبَيَّنَ مَوضِعُها، وقد فَارَقتِ الخبرَ أُضمِرَتْ، قالَ امرُؤُ القيس: (من الطويل)

فَقُلْتُ يَمِينَ اللهِ أبرحُ قاعِداً ولَو قَطَّعُوا رَأسِي لَدَيكِ وأَوصَالِي[[31]](#footnote-31)

فَرَأيُ الفرَّاء في هذهِ المسألةِ كرأي سيبويه وشيخهِ الخليل، فـهم يرونَ أنَّ " لا "تُضمَرُ معَ القَسَمِ، لأنَّهُ لَيسَ فِيهِ إشكالٌ، ولَو كانَ مُوجِباً لَكانَ بالَّلامِ.

**المبحث الثالث**

**معنى وتوجيه**

**المَسأَلةُ الثَّامِنةُ:**

وقولُهُ تَعالَى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ).[[32]](#footnote-32) قالَ: ( أَو لَتَعُودُنَّ ) فَجعَلَ فِيها لاماً كَجَوابِ اليَمِينِ، وهِيَ فِي مَعنَى شرط، مِثلُهُ فِي الكَلامِ أَنْ تَقُولَ: واللهِ لأَضْرِبَنَّكَ أو تُقِرَّ لِي.فيكون معناه معنى: "حتَّى " أو " إلَّا "، إلَّا أنَّها جاءَتْ بِحرفِ نَسَق.[[33]](#footnote-33)

هذا القَسَمُ الَّذِي ذَكَرَهُ الفَرَّاء هنا قَسَمٌ فِيهِ حذْفٌ وتقدِيرٌ، وهو: وقَالَ الَّذِينَ كفَرُوا لِرُسُلِهِم، والجَوابُ: لَنُخرِجَنَّكُم مِن أَرضِنا أَو لَتَعُودُنَّ، وجُملةُ ( لَنُخرِجنَّكُم ): جَوابُ القَسَمِ لا محلَّ لها مِن الإعرابِ. وهِيَ فِعليَّةٌ، والحذفُ فِيهِ " واللهِ ". ويَعرِضُ لِمَسألةٍ نحويَّةٍ غايةٍ في الأهميّةِ، وهِيَ ما يأتِي بَعدَ جَوابِ القَسَمِ مُتبِعاً لَهُ بـ " أو " حرفِ العَطفِ، فمنَ العَربِ مَنْ يَجعلُ الشَّرطَ مُتبِعاً للَّذِي قَبلَهُ، إنْ كانَتْ فِي الأوَّلِ لامٌ كانَ في الثاني لامٌ، وإنْ كَانَ مَنصُوباً أو مَجزُوماً نَسَقُوا علَيهِ، كَقَولِهِ: أو " لَتَعُودُنَّ "، ومِن العَربِ مَنْ يَنصِبُ ما بَعدَ " أو " لِيُؤذِنَ نَصبُهُ بِالانقِطاعِ عمَّا قَبلَهُ.وقالَ الشَّاعر[[34]](#footnote-34): ( من الرَّجز )

لَتَقعُدِنَّ مَقعَدَ القَصِيِّ مِنِّيَ ذِي القَاذُورَةِ المَقْلِيِّ

أَو تَحلِفِي بِرَبِّكِ العَلِيِّ أَنِّي أَبُو ذَيَّالِكِ الصَّبِيِّ

فَنَصبَ ( تَحلِفِي ) لأنَّه أرادَ: أنْ تحلِفي، ولو قالَ: أو " لِتَحلِفَنَّ "، كانَ صواباً، ومِثلُهُ قولُ امرئِ القيس: (من الطويل )

بَكَى صاحِبِي لَمَّا رأَى الدَّربَ دُونَهُ وأَيقَنَ أنَّا لاحِقانِ بِقَيصَرا

فَقُلْتُ لَهُ: لا تَبكِ عَينُكَ إنَّما نُحاولُ مُلكاً أو نَمُوتَ فَنُعذَرَا [[35]](#footnote-35)

فَنَصَبَ آخِرَهُ، ورَفَعَ " نُحاوِلَ " علَى معنَى " إلَّا " أو "حتَّى ". وفي إحدى القِراءتينِ: (تُقاتِلُونَهُم أو يُسلِمُوا ).[[36]](#footnote-36) وقال الشاعر: ( من البسيط )

لا أَستَطِيعُ نُزُوعاً عَن مَودَّتِها أَو يَصنَعَ الحُبُّ بِي غَيرَ الَّذِي صَنَعَا[[37]](#footnote-37)

وأَنْتَ قائِلٌ فِي الكَلامِ: لَسْتُ لأبِي إنْ لم أَقتُلْكَ أو تَسبِقَنِي فِي الأرضِ. فتنصبَ " تَسبِقَني " وتَجزِمُها. كأنَّ الجزمَ في جوازهِ: لَسْتُ لأبِي إنْ لم يَكُنْ أَحَدُ هذَيْنِ، والنَّصبُ على أنَّ آخرَهُ مُنقَطِعٌ عن أَوَّلِهِ، كما قالُوا: ل يَسَعُنِي شَيءٌ ويَضِيقَ عنكَ، فلم يَصلُحْ أنْ تَرُدَّ " لا "، على " ويَضِيقَ "، فَعُلِمَ أنَّها مُنقَطعة من معناها. كذلكَ قَولُ العربِ: لَو تُرِكْتَ والأَسَدَ لأَكَلَكَ، لَمَّا جاءَتِ الواو تَردُّ اسماً على اسمٍ قَبلَهُ، وقَبُحَ أنْ تَردَّ الفِعلَ الَّذِي رَفَعَ الأوَّلَ على الثاني نصبَ، ألا ترى أنَّكَ لا تَقُولُ: لَو تُرِكْتَ والأَسدُ لأَكَلَكَ. فمن ها هنا أتاهُ النَّصبُ، وجَازَ الرَّفعُ، لأنَّ الوَاوَ حَرفُ نَسَقٍ مَعرُوفٌ، فَجَازَ فِيهِ الوَجهَانِ لِلعِلَّتَيْنِ.[[38]](#footnote-38)

**المسألة التاسعة:**

قوله تعالى: (لَئِنِ اجتَمَعَتِ الإنسُ والجِنُّ علَى أنْ يَأْتُوا بِمِثلِ هذا القُرآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثلِهِ).[[39]](#footnote-39) جواب " لَئِنْ " هو " لا يَأتونَ ". والعرَبُ إذا أجابَتْ " لَئِنْ " بـ " لا " جعلُوا ما بَعدَها رَفعاً، لأنَّ " لَئِنْ " كَاليَمِينِ، وجوابُ اليَمِينِ بـ " لا "مرفوع. وربّما جَزَمَ الشَّاعرُ، لأنَّ " لَئِنْ " الَّتي يُجازَى بِها زِيدَتْ علَيها لامٌ، فَوَجَّهَ الفِعلَ فِيها إلَى " فَعَل "، ولو أتَى بـ "يَفعَل " لجازَ جَزمُهُ. وقد جَزَمَ بَعضُ الشُّعَراءِ بـ " لَئِنْ "، وبَعضُهُم بـ " لا " الَّتِي هِيَ جَوابُها[[40]](#footnote-40). قَالَ الأَعشَى: ( من البسيط )

لَئِنْ مُنِيْتُ بِنا عن غِبِّ مَعرَكَةٍ لا تُلْفِنا مِنْ دِماءِ القَومِ نَنتَفِلِ[[41]](#footnote-41)

وأَنشَدَتْنِي امرأَةٌ عُقَيلِيَّةٌ فَصِيحةٌ: (من الطويل)

لَئِنْ كَانَ مَا قَدْ حُدِّثْتُهُ اليَومَ صادِقاً أَصُمْ فِي نَهارِ القَيظِ لِلشَّمسِ بَادِيا

وأَركَبْ حِماراً بَينَ سَرجٍ وفَروَةٍ وأُعرِ مِن الخَاتامِ صُغرَى شَمالِيا[[42]](#footnote-42)

وهنا اجتَمعَ شَرطٌ وقَسَمٌ والسَّابِقُ مِنهُما هو القَسَمُ، ويَنبغِي أنْ يَكُونَ الجَوابُ لَهُ، ولكن جُوِّزَ الجزمُ، وجَزَمَ بَعضُهُم بـ" لَئِنْ " وبعضُهُم بـ " لا "التي وَقَعَتْ فِي الجَوابِ، وكانَ القِياسُ أنْ يأتيَ جوابُ القَسَمِ، ولكنَّهُ حُذِفَ ودلَّ علَيهِ جَوابُ الشَّرطِ المجزوم بـ " إنْ ".

**المَسأَلَةُ العاشِرَةُ:**

وقَولُهُ تَعالَى: ( ثُمَّ نُكِسُوا علَى رُؤوسِهِم، لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤلاءِ يَنطِقُونَ)[[43]](#footnote-43)، يَقُولُ: رَجَعُوا عندَما عَرَفُوا مِنْ حُجَّةِ إبراهِيمَ، فَقَالُوا: ( لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤلاءِ يَنطِقُونَ )، والعِلمُ والظَّنُّ بِمَنزِلةِ اليَمِينِ. فَلِذلِكَ لَقِيْتَ العِلمَ بِما، فَقَالَ: علِمْتَ ما هؤلاءِ، كقولِ القائِلِ: واللهِ ما أَنتَ بِأَخِينا، وكَذلِكَ قَولُهُ: ( وظَنُّوا ما لَهُم مِنْ مَحِيصٍ).[[44]](#footnote-44)

ولو أَدخَلَتِ العَرَبُ " أنْ " قَبلَ " ما "، فَقِيلَ: عَلِمْتُ أنْ ما فِيكَ خَيرٌ، وظَنَنْتُ أنْ ما فِيكَ خَيرٌ، كانَ صوابَاً. ولو اكتَفَوا بِتِلكَ الأداةِ فَلَم يُدخِلُوا علَيها " أنْ " لاستقامَ المعنى، ألا ترى قوله: (ثُمَّ بَدَا لَهُم مِنْ بَعدِ مَا رَأَوا الآيَاتِ لَيَسجُنُنَّهُ). [[45]](#footnote-45) لو قِيلَ: أنْ لَيَسْجُنُنَّهُ كان صَوَاباً، كما قال الشاعر: (من الطويل)

وَخَبَّرْتُما أَنْ إنَّما بَينَ بِيشَةٍ وَنَجرانَ أَحوَىُ، والمَحَلُّ خَصِيبُ

فأَدخَلَ " أنْ " على إنَّما.[[46]](#footnote-46)

**تعليق ومقارنة:**

أَرادَ هُنا فِي هذا الأُسلُوبِ أنْ يَقُولَ لَنا: إنَّ العِلمَ والظَّنَّ قَسَمٌ، وجَوابُ القَسَمِ ما بَعدَ " ما "، أي: مَا هؤلاءِ يَنطِقُونَ، فجَوابُ القَسَمِ جَاءَ مُقترِناً بِحرفِ النَّفيِ " ما "، وأرادَ أيضاً أَنْ يَقُولَ لَنا: إنَّ العَرَبَ تَضَعُ " أنْ " قبل " ما "، وهذا صَوابٌ عِندَهُم ولَيسَ بِخطأ، وأتى بِشَاهِدٍ علَى ذلِكَ.

ومِن مِثلِ ذلِكَ أيضاً قَولُهُ تعالَى: ( وَعَدَ اللهُ الّذِينَ آمَنُوا مِنكُم وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرضِ )[[47]](#footnote-47). العِدَةُ قَولٌ يَصلُحُ فِيها " أنْ و جَوابُ اليَمِينِ "، وإنَّ " أنْ" تَصلُحُ فِي مِثلِهِ من الكَلام.[[48]](#footnote-48)

**المسألة الحادية عشرة:**

وقَولُهُ: ( قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وأَهلَهُ)[[49]](#footnote-49). وهيَ فِي قِراءةِ عبدِ الله: ( تَقَاسَمُوا بِاللهِ)، ليسَ فِيها " قالُوا ". وقَولُهُ: ( لَنُبَيِّتَنَّهُ )، التاء، والنُّون، والياءُ، كُلٌّ قَد قُرئَ بِهِ، فَمَنْ قالَ (تَقَاسَمُوا )، فَجَعَلَ (تَقَاسَمُوا) خَبَرَاً، فَكأَنَّهُ قالَ: قَالُوا مُتَقَاسِمِينَ: لَنُبَيِّتَنَّهُ، بالنُّونِ. ثُمَّ يَجُوزُ اليَاءُ فِي هذا المعنَى، فَتَقُولُ: قالُوا لَيُبَيِّتُنَّهُ، بالياء، كَمَا تَقُولُ: قَالُوا لَنَقُومَنَّ، ولَيَقُومُنَّ. ومَنْ قالَ: تَقَاسَمُوا، فَجَعَلَها فِي مَوضِعِ جَزمٍ، فَكَأنَّهُ قالَ: تَحالَفُوا وأَقسَمُوا لَتُبَيِّتَنَّهُ، بالتاء والنُّون تَجُوزُ مِن هذا الوَجهِ، لأنَّ الَّذِي قالَ لَهُم تَقَاسَمُوا مَعَهُ فِي الفِعلِ داخِل، وإنْ كانَ قَد أَمَرَهُما ألا ترى أنَّكَ تَقُولُ: قُومُوا نَذهَبْ إلَى فُلانٍ، لأنَّهُ أَمَرَهُم، وهو مَعَهُم فِي الفِعلِ. فالنُّونُ أَعجَبُ الوُجُوهِ إلَيَّ، وإنَّ الكسائِيَّ يَقرأُ بالتَّاءِ، والعوامُّ علَى النُّون. وهِيَ فِي قِراءةِ عبدِاللهِ (تَقَاسَمُوا )، (ثُمَّ لَنُقسِمَنَّ ما شَهِدْنَا مَهلِكَ أَهلِهِ).[[50]](#footnote-50)

**المَبحَثُ الرَّابِعُ**

**مسائِلُ مُتَفَرِّقةٌ**

وقوله: (ق والقُرآنِ المَجِيدِ).[[51]](#footnote-51) ق فيها المعنى ألَّذِي أَقسَمَ بهِ، ذَكرَ أّنَّها قُضِيَ واللهِ، كما قِيلَ فِي حم: قُضِيَ واللهِ، وحُمَّ واللهِ: أي: قُضِيَ. والقرآن المجيدِ لَتُبعَثُنَّ، أو لَيُبعَثُنَّ بعدَ الموتِ.[[52]](#footnote-52) هذا القسَمُ نوع تقليدي بأداة قسمٍ وجوابٍ مقدَّرٍ، أداة القَسَمِ هِيَ الواو، وجواب القسمِ المقدَّر هو لَتُبعَثُنَّ بعد الموتِ. فالواو حرفُ جرٍّ وقَسَمٍ. واللهِ: لفظ الجلالة اسم مجرور. والجار والمجرور متعلقان بفعلٍ محذوف. وجملةُ (لَتُبعثُنَّ ): جوابُ القَسَمِ لا محلَّ لها من الإعرابِ. وهي جملةٌ فِعليَّة.

وقوله: ( والذَّارِياتِ ذَرواً).[[53]](#footnote-53) يعني الرِّياح،: (إنَّكُمْ لَفِيْ قَوْلٍ مُختَلِفٍ).[[54]](#footnote-54) جَوابٌ لِلقَسَمِ، والقولُ المختلِفِ: تَكذِيبُهُم بَعضُهُم بِالقُرآنِ، وبِمُحمَّدٍ، وإيمانِ بَعضِهِم.[[55]](#footnote-55)

هذا القَسَمُ صَريحٌ جاءَتْ أَداتُهُ الواو، وهِيَ حَرفُ جرٍّ وقَسمٍ. والذَّارِياتِ: اسمٌ مجرورٌ. والجارُّ والمجرورُ مُتَعلِّقانِ بِفعلٍ مَحذُوفٍ أُقسِمُ. وجملة (إنَّكُم لَفِي قَولٍ مُختَلِفٍ): جوابُ القَسَمِ لا مَحلَّ لَها مِن الإعرابِ. وهي جملة اسميَّةٌ. جاءَ الجوابُ هنا جُملةً اسميَّةً مؤلَّفةً مِن إنَّ واسمِها وخَبرِها.

وقولُهُ: ( فَوَرَبِّ السَّمَاْءِ والأَرْضِ).[[56]](#footnote-56) أَقسَمَ عزَّ وجلَّ بِنفسِهِ: أنَّ الَّذِي قُلْتُ لَكُم لَحَقٌّ مِثلَ ما أنَّكُم تَنطِقُونَ. وقد يَقُولُ القَائِلُ: كَيفَ اجتَمَعَتْ " ما "، و " أنَّ "، وقَد يُكتَفَى بِإحدَاهُما مِن الأخرى، وفيه وجهان، أحدُهُما: أنَّ العربَ تَجمعُ بَينَ الشَّيئَيْنِ من الأسماءِ والأدواتِ إذا اختَلَفَ لَفظُهُما، فَمِن الأسماء قَولُ الشَّاعِرِ: ( من الطويل )

مِنَ النَّفَرِ الَّلائِي الَّذِينَ إذا هُمُ يَهابُ الَّلئامُ حَلْقَةَ البَابِ قَعقَعُوا[[57]](#footnote-57)

فَجَمَعَ بَينَ " الَّلائِي "، و " الَّذِينَ "، وأحدُهُما مُجزِيءٌ عنِ الآخِرِ.

وأمَّا فِي الأَدواتِ فَقولُهُ: (من الكامل)

ما إنْ رَأَيْتُ ولا سَمِعتُ بِهِ كَاليَومِ طالِيَ أَينُقٍ جُرْبِ[[58]](#footnote-58)

فَجَمَعَ بينَ " ما " وبينَ "إنَّ "، وهما جَحدانِ أَحدُهُما يُجزِي عنِ الآخرِ.

وأمَّا الوَجهُ الآخرُ فإنَّ المعنَى لَو أُفرِدَ بِما لَكَانَ كأنَّ المَنطِقَ فِي نَفسِهِ حَقٌّ لا كَذِبٌ، ولَم يُرَدْ بِهِ ذلِكَ. إنَّما أرادُوا أنَّهُ لَحَقٌّ كما حَقٌّ أنَّ الآدمِيَّ ناطِقٌ[[59]](#footnote-59).

**تعليق ومقارنة:**

وفِي أُسلُوبِ القَسَمِ الَّذِي ذَكَرَهُ -سُبحانَهُ وتَعالَى- أَقسَمَ بنفسِهِ، فَالواوُ حرفُ جرٍّ وقَسَمٍ، وربِّ: لفظ الجلالة. اسمٌ مجرورٌ. والجارٌّ والمجرورُ متعلِّقان بِفعلٍ مَحذُوف أُقسِمُ، وجَوابُ القَسَمِ: " أنَّ الَّذِي قُلْتُ لَكُم لَحَقٌّ مِثلَ ما أنَّكُم تَنطِقُونَ " جُملةُ جوابِ القَسَمِ لا مَحلَّ لها مِن الإعرابِ. وهِيَ اسميَّةٌ. وهُنا أَمرانِ تَكلَّمَ فِيهِما الفرَّاء، الأوَّل أنَّ العَربَ تَجمَعُ بَينَ المِثلينِ مِن الأسماءِ والأدواتِ وهذا لِلتأكِيدِ، وقَد يَختلِفُ الَّلفظانِ، وهذا ممَّا أَجمَعَ علَيهِ النَّحويُونَ، ولم يَختلِفُوا فِيهِ وعلَّلُوا ذلِكَ تَعلِيلاً حَسَناً.

والأَمرُ الثَّانِي الَّذِي ذَكرَهُ الفرَّاءُ يَتَعلَّقُ بالمعنى، وذلِكَ أنَّ "ما " إذا وَرَدَتْ فِي الكَلامِ دُونَ " إنْ " فَكَأنَّهُ أكَّدَ المَنطقَ فِي نَفسِهِ حَقٌّ لا كَذِبٌ، والأَصلُ لم يَذهَبْ بهِ هذا المَذهَبَ إنَّما الصَّحِيحُ القولُ: أنَّه لَحقٌّ كَمَا هُو حَقٌّ أنَّ الآدَمِيَ ناطِقٌ.

وقَولُهُ: ( والنَّجْمِ إِذَا هَوَى، ما ضَلَّ صَاْحِبُكُمْ ).[[60]](#footnote-60) أَقسَمَ-تبارك وتعالى- بالقُرآنِ، لأَنَّهُ يَنزِلُ نُجُوماً، الآية والآيتانِ، وكانَ بَينَ أَوَّلِ نُزُولِهِ وآخِرِهِ عِشرُونَ سَنَةً. وقوله: " ما ضَلَّ صَاْحِبُكُمْ "جوابٌ لِقَولِهِ " والنَّجْمِ إِذَا هَوَى ".[[61]](#footnote-61)

**تعليق:**

جَاءَ القَسَمُ فِي هذِهِ الآيةِ مبدوءاً بالواوِ، وهُو حرفُ جرٍّ وقَسَمٍ، والنَّجمِ: اسمٌ مَجرُورٌ. والجارُّ والمجرُورُ متلِّقانِ بفعلٍ مَحذُوف تقديرُهُ : أقسِمُ. وجواب القسَمِ " ما ضَلَّ صَاحِبُكُم " جملة فعلية مقترنة بأداة النفي" ما " لا محلَّ لها من الإعراب.

فالماضِي المنفِي جاءَ جواباً لِلقَسَمِ، وهنا يَنقَلِبُ إلَى مَعنى المُستَقبَلِ، لماذا؟ لأنَّ الجوابَ كما ذَكَرنا جاءَ بالماضي، نحو: واللهِ ما قامَ زَيدٌ، وأمَّا إنْ نُفِيَ بـ " لا " ، أو " إنْ "انقَلَبَ إلى معنَى الحَاضِر.

وقولُهُ: ( لا أُقسِمُ بِيَومِ القِيامَةِ، ولا أُقسِمُ بِالنَّفْسِ الَّلوَّامَةِ ).[[62]](#footnote-62) قالَ أبُو عبدِ اللهِ: سَمِعْتُ الفرَّاءَ يَقُولُ: وقوله " لا أُقسِمُ " كانَ كَثيرٌ من النَّحْويِينَ يَقُولُونَ: " لا " صلةٌ، قالَ الفرَّاءُ: ولا يُبتَدَأُ بِجَحدٍ، ثُمَّ يُجعَلُ صِلَةً يُرَادُ بِهِ الطَّرْحُ، لأنَّ هذا الوِجازَ لَم يُعرَفْ خَبرٌ فِيهِ جَحدٌ مِنْ خَبرِ لا جَحدَ فِيهِ. ولكنَّ القُرآنَ جاءَ بالرَّدِّ علَى الَّذِينَ أَنكَرُوا البَعثَ والجنَّةَ والنَّارَ، فَجاءَ الإِقسَامُ بِالرَّدِّ علَيهِم فِي كَثيرٍ من الكلامِ المبتَدأِ منهُ، وغير المبتَدأ، كَقولِكَ فِي الكَلامِ: لا واللهِ لا أَفعَلُ ذاكَ، جَعَلُوا " لا " وإنْ رَأَيْتَها مُبتَدَأةً رَدَّاً علَى لِكلامٍ قد كانَ مَضَى، فَلَو أَلقَيْتَ "لا"، ممَّا يُنوَى بِهِ الجوابُ لم يَكُنْ بينَ اليَمينِ التي تكونُ جواباً، واليمينِ التي تَستأنِفُ فَرقٌ.

**تعليق ومقارنة:**

ألا تَرَى أنَّكَ تَقُولُ مُبتَدِئاً: واللهِ إنَّ الرَّسُولَ لَحَقٌّ، فإذا قُلْتَ لا واللهِ إنَّ الرَّسُولَ، فكأنَّكَ أَكذَبْتَ قَوماً أَنكَرُوهُ، فَهذِهِ جِهةُ " لا " مع الإقسامِ، وجميع الأيمانِ في كلِّ مَوضِعٍ ترى فيهِ " لا " مُبتَدأٌ بِها، وهُو كَثيرٌ فِي الكَلامِ.

وكانَ بَعضُ مَنْ لم يَعرِفْ هذِهِ الجِهةِ فيما ترى يَقرَأُ: ( لَأُقسِمُ بِيَومِ القِيامَةِ )[[63]](#footnote-63)، ذُكِرَ عنِ الحَسَنِ يَجعلُها " لاماً " دَخَلَتْ علَى أُقسِمُ، وهو صوابٌ، لأنَّ العربَ تَقُولُ: لأَحلِفُ بِاللهِ لَيَكُونَنْ كذا وكذا، يَجعَلُونَهُ " لاماً " بِغَيرِ مَعنى " لا ".

وقَرَأَ " لَأُقسِمُ " الأُولَى بِحذفِ الألِفِ مِن غيرِ لَفظِ " لا " البزي، من طريقِ أبي ربيعة، وقنبل. ووُجِّهَتْ بِأنَّ الَّلامَ لا التأكيد، أو جوابَ قسمٍ مُقدَّر، دخلَتْ علَى مُبتدأ محذُوفٍ، أي: لأنا أُقسِمُ، وإذا كانَ الجوابُ جُملةً اسمِيَّةً أُكِّدَ بِالَّلامِ، وإذا كانَ خبرها مُضارِعاً جازَ أنْ يَكُونَ للحالِ، لأنَّ البَصرِيينَ يَمنَعُونَ أنْ يَقَعَ فِعلُ الحالِ جواباً لِلقسم، فإنْ وَرَدَ ما ظاهِرُهُ ذلِكَ كما هنا جُعِلَ الفِعلُ خبرَ المضمَرِ، فَيَعُودُ الجوابُ جملةً اسميَّة، والتقدير: واللهِ لأنا أقسمُ[[64]](#footnote-64).

**الخاتِمةُ وأهمُّ النتائِجِ:**

وبَعدَ دِراسَةِ القَسَمِ وبيانِ قِيمتِهِ النَّحويَّة كَأُسلُوبٍ خَبريٍّ يُفيدُ التوَّكِيدَ ويُفَصِّل الظَّاهِرةَ النَّحويَّةَ الَّتِي تَقَعُ بَينَ يَديِ القَارِئِ، فَالترَّكِيبُ المشتَمِلُ على القَسَمِ يُمثِّلُ صُورةً مِن صُورِ النِّظامِ الُّلغَويِّ، فَالتَّحلِيلُ النَّحويُّ من خلالِ النُّصوصِ يُحدِّدُ التراكِيبَ والأنظمةَ الُّلغويَّة، وكَشَفَ البحثُ ذلِكَ مِن خلالِ دِراسةِ القَسَمِ الوَارِدِ فِي مَعانِي القُرآنِ.

وقد بيَّنَ البحثُ أنواعَ القَسَمِ وأَدواتِهِ، وقَد جَاءَ ذلِكَ مَشفُوعاً بِالشَّواهِدِ والأدلَّةِ مِن مَعانِي القُرآنِ فِي هذِهِ الدِّراسةِ المُتواضِعةِ، مَعَ ذِكرِ وُجُوهِ القِراءاتِ القُرآنِيَّةِ، وأظهرَ نِظامَ العَلاقاتِ النَّحويَّةِ فيهِ، وهذِهِ العَلاقَاتُ هيَ الَّتِي يَتَحَقَّقُ بِها التَّركِيبُ، فلا تركِيبَ بِدُونِ علاقاتٍ بَينَ مُفرداتِهِ. وأهمُّ النتائِجِ:

-العِنايةُ بِالدِّراساتِ اللغويَّةِ والنَّحويَّةِ فِي أعاريبِ القُرآنِ، وبيانُ الأَوجُهِ النَّحويَّةِ المُختَلِفةِ.

-استِعمالُ الفرَّاء لمُصطلَحِ اليَمينِ بدلاً من القَسمِ في ثلاثةَ عَشرَ موضعاً، على حين استعمَلَ القًسَمَ مرَّة واحِدة.

– تَعمِيقُ الوَعِي بِالتُّراثِ الُّلغَويِّ وَبيانُ عَلاقتِهِ بِحاضِرِ المَعرفَةِ الأَدَبِيَّةِ والُّلغَويَّةِ ومُستَقبلِها .

– المَعرفةُ التَّارِيخيَّةُ الَّتِي تُتِيحُها القِراءةُ لِلتُراثِ بِوَصفِها عَلاقةً بَينَ زَمَنَينِ زَمنِ القَارِئِ وزَمنِ المَقرُوءِ.

**المصادر والمراجع:**

1-إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: أحمد بن محمد بن عبدالغني البنا الدمياطي (ت 1117ه) تحقيق: عبدالرحمن الطرهوني، دار الحديث، القاهرة، 1430هـ-2009م.

2-البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: أبو حفص سراج الدين عمر بن زين الدين قاسم بن محمد بن علي الأنصاري النشار (ت 938هـ)، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود، وأحمد عيسى المعصراوي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1421هـ-200م.

3-بناء الجملة العربية: د. محمد حماسة عبداللطيف، دار غريب، القاهرة، 2003م.

4-ديوان امرئ القيس: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1964م.

5-ديوان زهير بن أبي سلمى (شرح شعر زهير) صنعة ثعلب، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1982م.

6-ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات: تحقيق وشرح محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1986م.

7-ديوان النابغة الذبياني، صنعة ابن السكيت، تحقيق: د. شكري فيصل، بيروت، 1388هـ- 1968م، وتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم صنعة الأعلم الشنتمري، دار المعارف، القاهرة، 1977م.

8-سِرُّ صناعة الإعراب: لأبي الفتح عثمان بن جني (392هـ): تحقيق: محمد حسن إسماعيل، وأحمد رشدي شحاتة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1428هـ-2007م.

9-شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبدالله بن عقيل الهمداني المصري(ت769هـ) على ألفية ابن مالك، أبي عبدالله محمد ابن مالك (ت672هـ)، ومعه كتاب منحة الجليل، بتحقيق شرح ابن عقيل: تأليف محمد محيي الدين عبدالحميد، راجع الطبعة ونقحها: د.محمد أسعد النادري، المكتبة العصرية، صيدا، 1428ه-2007م.

10- شرح ديوان لبيد العامري، تحقيق: د. إحسان عباس، وزارة الإعلام الكويتية،ط2، 1984م.

11-شرح المفصل: ابن يعيش، يعيش بن علي (ت643هـ)، عالم الكتب، بيروت، ومكتبة المتنبي، القاهرة، د.ت.

12-قواعد الإعراب المسمى موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب: الشيخ خالد الأزهري (ت905هـ)، تحقيق ودراسة وتعليق: خالد إسماعيل حسان، مكتبة الآداب، القاهرة، 1432هـ -2010م.

13-الكتاب: سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنب‍ر (ت180هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1430هـ-2009م.

14--معاني القرآن: تأليف أبي زكرياء يحيى بن زياد الفرَّاء (ت 207هـ-822م)، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجَّار، ط3، القاهرة، مركز تحقيق التراث، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، 1422هـ -2001م.

15-معجم القراءات القرآنية: د.عبداللطيف الخطيب، دار سعدالدين للنشر والطباعة، دمشق، 2000م.

16-مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: جمال الدين عبدالله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري (ت761هـ)، قدَّم له ووضع حواشيه وفهارسه: حسن حمد، وأشرف عليه وراجعه: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ-1998م.

17-مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل(ت502هـ)، تحقيق صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، ط2، 1418هـ-1997م

18-المُفَصَّل في صَنعةِ الإعرابِ: الزمخشري، لأبي القاسم محمود بنِ عمرَ بنِ مُحَمَّدٍ الخوارزمي (ت538هـ)، تحقيق: د.خالد إسماعيل حسان، مكتبة الآداب، القاهرة، 2009م.

17-المقتضب: لأبي العباس محمد بن يزيد المبرِّد (ت285هـ)، تحقيق: حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ-1999م.

1. لسان العرب لابن منظور (711هـ) مادة (قَسَمَ) [↑](#footnote-ref-1)
2. شرح ديوان لبيد العامري، تحقيق: د. إحسان عباس، وزارة الإعلام الكويتية،ط2، 1984م، ص131، وينظر القاموس المحيط مادة (قَسَمَ). وأمك هابل: دعاء عليه، كقولك ثكلتك أمُّك. [↑](#footnote-ref-2)
3. الآية 21 من سورة الأعراف. [↑](#footnote-ref-3)
4. مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل(ت502هـ)، تحقيق صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، ط2، 1418هـ-1997م، ص670. [↑](#footnote-ref-4)
5. لسان العرب والقاموس المحيط مادة (حلفَ). [↑](#footnote-ref-5)
6. 7 المُفَصَّل في صَنعةِ الإعرابِ: للزمخشري، لأبي القاسم محمود بنِ عمرَ بنِ مُحَمَّدٍ الخوارزمي (ت538هـ)، تحقيق: د.خالد إسماعيل حسان، مكتبة الآداب، القاهرة، 2009م، ص471. [↑](#footnote-ref-6)
7. الكتاب: لسيبويه، عمرو بن عثمان بن قنب‍ر (ت180هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1430هـ-2009م، 3: 104. [↑](#footnote-ref-7)
8. بناء الجملة العربية: د. محمد حماسة عبداللطيف، دار غريب، القاهرة، 2003م، ص228. [↑](#footnote-ref-8)
9. الآية 57 من سورة الأنبياء. [↑](#footnote-ref-9)
10. الكتاب 3: 496-497. [↑](#footnote-ref-10)
11. الآية 102 من سورة البقرة. [↑](#footnote-ref-11)
12. الآية 12 من سورة الحشر. [↑](#footnote-ref-12)
13. الآية 58 من سورة الروم. [↑](#footnote-ref-13)
14. الآية 145 من سورة البقرة. [↑](#footnote-ref-14)
15. الآية 51 من سورة الروم. [↑](#footnote-ref-15)
16. الآية 103 من سورة البقرة. معاني القرآن 1: 84. [↑](#footnote-ref-16)
17. الآية 81 من سورة آل عمران. قرأ الحسن وحمزة ويحيى بن وثاب وهبيرة عن حفص عن عاصم " لِما " بكسر اللام الجارة، وتخفيف الميم. ينظر معجم القراءات القرآنية: د.عبداللطيف الخطيب، دار سعدالدين للنشر والطباعة، دمشق، 2000م، 1: 535. [↑](#footnote-ref-17)
18. معاني القرآن 1: 225. [↑](#footnote-ref-18)
19. إعراب القرآن: لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل الملقب بابن النحاس (ت388هـ)، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت،ط1، 1426هـ-2005م، ص211. [↑](#footnote-ref-19)
20. الكتاب 3: 107. [↑](#footnote-ref-20)
21. الكتاب 3: 107. والشاهد فيه: مجيء " أن "توكِيداً لقسم، والثانية وقعت جواباً للقسم، ولذلك لا تجتمع " الَّلامانِ " في موضع واحد، فتقدمت واحدة وتأخرت أخرى. [↑](#footnote-ref-21)
22. الآية 72 من سورة النساء. [↑](#footnote-ref-22)
23. معاني القرآن 1: 275. [↑](#footnote-ref-23)
24. لسان العرب مادة: "بطؤ ". [↑](#footnote-ref-24)
25. الآية 119 من سورة هود. [↑](#footnote-ref-25)
26. الآية 35 من سورة يوسف. [↑](#footnote-ref-26)
27. معاني القرآن 2: 31. [↑](#footnote-ref-27)
28. الآية 73 من سورة يوسف. [↑](#footnote-ref-28)
29. معاني القرآن 2: 51. [↑](#footnote-ref-29)
30. الآية 85 من سورة يوسف. [↑](#footnote-ref-30)
31. ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1964، ص32. [↑](#footnote-ref-31)
32. الآية 13 من سورة إبراهيم. [↑](#footnote-ref-32)
33. معاني القرآن 2: 70. [↑](#footnote-ref-33)
34. معاني القرآن 2: 70. ينظر في اللسان مادة ( ذا ) في حرف الألف اللينة. وينظر شرح ابن عقيل 2: 329. والبيتانِ يُنسَبان إلَى رؤبة بن العجاج، وقال ابن بري: هما لأعرابيٍّ قَدِمَ من سفرٍ فَوَجَدَ امرأتَهُ وَضَعَتْ فَأنَكرَهُ. [↑](#footnote-ref-34)
35. ديوان امرئ القيس، ص32. [↑](#footnote-ref-35)
36. الآية 16 من سورة الفتح. وهذه قراءة شاذة. قرأها أُبَي وزيد بن علي. ينظر البحر المحيط 8: 94. [↑](#footnote-ref-36)
37. معاني القرآن 2: 71. [↑](#footnote-ref-37)
38. معاني القرآن 2: 71. [↑](#footnote-ref-38)
39. الآية 88 من سورة الإسراء. [↑](#footnote-ref-39)
40. معاني القرآن 2: 130 -131، وينظر 1: 66-68. [↑](#footnote-ref-40)
41. معاني القرآن 2: 131. والشاهد أتى جواب الشرط الجازم " تلفنا " مجزوماً وكانَ القياس أن يرفع ويكون جواباً للقسم، وهذا من باب الجواز في الشعر. [↑](#footnote-ref-41)
42. معاني القرآن 2: 131. وينظر المصدر نفسه 1: 67.والشاهد أَصم جاء مجزوماً جوازاً، وأصل القاعدة أن يكون ما بعد " لا " في جواب القسم مرفوعاً، و" أركب " جاء معطوفاً عليه. [↑](#footnote-ref-42)
43. الآية 65 من سورة الأنبياء. [↑](#footnote-ref-43)
44. الآية 48 من سورة فصلت. [↑](#footnote-ref-44)
45. الآية 35 من سورة يوسف. [↑](#footnote-ref-45)
46. معاني القرآن 2: 207. [↑](#footnote-ref-46)
47. الآية 55 من سورة النور. [↑](#footnote-ref-47)
48. معاني القرآن للفراء 2: 258. [↑](#footnote-ref-48)
49. الآية 49 من سورة النمل. [↑](#footnote-ref-49)
50. معاني القرآن للفراء 2: 296. [↑](#footnote-ref-50)
51. الآية 1 من سورة ق. [↑](#footnote-ref-51)
52. معاني القرآن 3: 75. [↑](#footnote-ref-52)
53. الآية 1 من سورة الذاريات. [↑](#footnote-ref-53)
54. الآية 8 من سورة الذاريات. [↑](#footnote-ref-54)
55. معاني القرآن 3: 82-83. [↑](#footnote-ref-55)
56. الآية 23 من سورة الذاريات. [↑](#footnote-ref-56)
57. ينظر خزانة الأدب 2: 532. وفيها: " اعتَزَوا " بدل " هم "، في الشطر الأول، و "هابَ الرجال " بدل "يهابُ الِّلئام. [↑](#footnote-ref-57)
58. البيت لدريد بن الصمة يصف الخنساء ينظر شرح شواهد المغني 2: 955. [↑](#footnote-ref-58)
59. معاني القرآن 3: 84-85. [↑](#footnote-ref-59)
60. الآيتان 1و2 من سورة النجم. [↑](#footnote-ref-60)
61. معاني القرآن 3: 94-95. [↑](#footnote-ref-61)
62. الآيتان 1و2 من سورة القيامة. [↑](#footnote-ref-62)
63. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: أبو حفص سراج الدين عمر بن زين الدين قاسم بن محمد بن علي الأنصاري النشار (ت 938هـ)، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود، وأحمد عيسى المعصراوي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1421هـ-200م، 2: 399.

    وينظر إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: أحمد بن محمد بن عبدالغني البنا الدمياطي (ت 1117ه) تحقيق: عبدالرحمن الطرهوني، دار الحديث، القاهرة، 1430هـ-2009م، 2: 504. [↑](#footnote-ref-63)
64. إتحاف فضلاء البشر 2: 504. [↑](#footnote-ref-64)